

رسالة في

مصادر الفقه الشيعي



آية الله العظمى السيد رضا حسيني نسب



المقدمة

كلمة الفقه في اللغة هي بمعنى الفهم و الذكاء و
الفطنة و الحذق و العلم بما يعمّ التصور و التصديق ؛
و أشهر تلك المعاني هو المعنى الأول.

أمّا الفقه في الاصطلاح فهو العلم بالأحكام الشرعية
الفرعية العملية و موضوعاتها الشرعية عن أدلتها
التفصيلية. فالفقه من حيث تعلقه بالأحكام، يتمحّض
في التصديقات فقط؛ و ذلك لأنّ الحكم هو اسناد
الأمر الى شئ آخر ايجابا أو سلبا.

و بتقييد العلم في هذا التعريف بالأحكام يخرج العلم
بالذوات و الصفات و الأفعال. و بالتقييد بالشرعية
يخرج غيرها من الأحكام اللغوية و الفلسفية و
أمثالها. و بالتقييد بالفرعية العملية يخرج الأحكام
الاصولية و الاعتقادية. و بالتقييد بالأدلة التفصيلية

يخرج علم المقلّد بالمسائل الفقهية، المأخوذ من
الدليل الاجمالي.

و مسائل علم الفقه هي التي تبحث عن الأحكام
الشرعية العملية و ما يرجع اليها و عن موضوعاتها
الشرعية. فمباحث الصلاة والصوم و الحج و غيرها
من أبواب الفقه؛ والبحث عن الأحكام الخمسة
(الوجوب والحرمة و الاستحباب و الكراهة و الاباحة) ؛
و البحث عن ماهية العبادة و الأحكام الوضعية التي
تتعلق بالموضوعات و الأعيان الخارجية كأحكام المياه
و النجاسات و المطهّرات هي كلها من مسائل علم
الفقه.

نحاول في هذه الرسالة الموجزة أن نلقي الضوء
على مصادر هذا العلم الشريف من وجهة نظر
الشيعة الإمامية.

مصادر الفقه عند الشيعة

يستنبط فقهاء الشيعة الأحكام الشرعية - تبعاً لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) - مما يلي :

1- القرآن الكريم .

2- السنة الشريفة .

3- الإجماع .

4- العقل .

و يعدّ القرآن الكريم و السنة الشريفة أهمّ المصادر للفقه الشيعي ، و لهذا سنتكلّم عنهما باختصار فيما يلي :

القرآن الكريم

يعتبر أبناء مدرسة الفقه الشيعي كتاب الله العزيز أهمّ مصدر لأحكامهم الفقهيّة التي يستنبطونها ، والميزان الذي تعرف به أحكام الباري عزّوجلّ ، فإنّ

أُثْمَتَهُمْ وَقَادَتَهُمْ قَالُوا : إِنَّ الْقُرْآنَ أَرْفَعُ وَأَفْضَلُ مَصْدَرٌ
لِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ، وَلِهَذَا يَجِبُ عَرْضُ كُلِّ
نَظَرِيَّةٍ عَلَى الْقُرْآنِ فَمَا وَافَقَهُ قُيِّلَ ، وَمَا خَالَفَهُ طُرِحَ
وَتُرِكَ .

رَوَى الْإِمَامُ السَّادِسُ لِلشَّيْعَةِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَقَالَ :

«خَطَبَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِمَنْى فَقَالَ : أَيُّهَا
النَّاسُ مَا جَاءَكُمْ عَنِّي بِوَأْفَقِ كِتَابِ اللَّهِ فَأَنَا قَلْتُهُ ، وَمَا
جَاءَكُمْ بِخَالَفِ كِتَابِ اللَّهِ فَلَمْ أَقُلَّهُ» .⁽¹⁾

فَمِنْ خِلَالِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ يَتَضَحُّ أَنَّ مَنزِلَةَ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ أَثْمَتِنَا فِي مَجَالِ اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ
الشَّرْعِيَّةِ هِيَ أَرْفَعُ مَنزِلَةَ .

و لِأَجْلِ إِثْبَاتِ وَثَاقَةِ الْقُرْآنِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ ،
نَشِيرُ إِلَى الْأَدَلَّةِ الَّتِي تَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ وَجْهَةٍ
نَظَرْنَا . فَنَقُولُ : إِنَّ الْقُرْآنَ الْمَوْجُودَ بِأَيْدِينَا الْيَوْمَ هُوَ عَيْنُ

(1) الكافي ، ج 1 ، ص 69 ، ح 5 .

القرآن النازل على نبيّنا (صلى الله عليه وآله) من دون زيادة ونقصان ، ولأجل إيضاح ما قلناه نذكر بعض الأدلّة على ذلك :

الدليل الأول

إنّ البارئ سبحانه وتعالى ضمن لنا حفظ كتابه العزيز ، حيث قال :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (2).

وبما أنّ الشيعة يعتبرون القرآن منهجاً فكرياً وعملياً لهم فهم يعظمون هذه الآية ويؤمنون بما تنادي به من حفظ وصيانة الكتاب العزيز .

الدليل الثاني

إن قائد الشيعة الأعظم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان مرافقاً للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) دوماً ، وكان من كتّاب الوحي ، كان يوصي الناس - وفي مناسبات مختلفة - بالرجوع إلى القرآن ، وإليك بعض كلماته النيرة :

(2) الحجر : 9 .

«واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ،
والهادي الذي لا يضل ، والمحدث الذي لا يكذب»⁽³⁾ .

وقال :

«إنّ الله سبحانه لم يعط أحداً بمثل هذا القرآن ، فإنّه
حبل الله المتين ، وسببه الأمين»⁽⁴⁾ .

وقال :

«ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحُه ، وسراجاً لا
يخبو توقُّده ، وبحراً لا يُدرِك قعرُه ، ومنهاجاً لا يضلُّ
تهجُّه ، وشعاعاً لا يُظلم صوُّه ، وفرقاناً لا يخمد
برهانه»⁽⁵⁾ .

فكلام سيد الأوصياء يوضح أنّ القرآن مصباح هداية
لمن استضاء به ، لا يطفأ نوره إلى الأبد ، فكلّ تغير
يوجب إطفاء هذا النور ، أو يسبب الضلالة ، فهو غير
ممکن فيه .

(3) نهج البلاغة : الخطبة 176 .

(4) نهج البلاغة : الخطبة 176 .

(5) نهج البلاغة : الخطبة 176 .

الدليل الثالث

اتفق علماء الشيعة على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال :

«إِنِّي نَارُكُمْ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا ; كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي ، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضَ»⁽⁶⁾ .

وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة بين المسلمين ، فرواه السنّة والشيعة . ومنه يعلم بوضوح أنّ القرآن الكريم - في نظر الشيعة - لا يتسرّب إليه التحريف والتغيير ، لأنّه إذا نفذ التحريف إلى الكتاب العزيز فلا يكون التمسك به موجبا للهداية ، وهذه النتيجة تخالف النص المتواتر .

الدليل الرابع

صرّحت روايات أئمتنا المعصومين والتي رواها علماؤنا وفقهاؤنا أنّ القرآن ميزان لتمييز الحقّ من الباطل ، والصحيح من غيره ، وهذا بمعنى أنّ الكلام الوارد

(6) المعجم الصغير للطبراني ، ج 1 ، ص 135 .

علينا باسم الحديث يجب عرضه على القرآن ; فما وافقه فهو حقّ وصحيح ، وما خالفه فهو باطل. والروايات الواردة في هذا المجال كثيرة ، مروية في كتب الحديث والفقه ، نذكر منها رواية واحدة :
روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) :

«ما لم يُوافق من الحديثِ القرآنَ فهو زُحْرُفٌ»⁽⁷⁾.

فيستفاد من هذه الرواية أيضاً أنّ التغيّر والتحريف لا مجال له في القرآن الكريم ، ومن هنا فإنّ القرآن معيار لمعرفة الحقّ من الباطل إلى الأبد .

الدليل الخامس

صرّح كبار علماء الشيعة والذين لهم قدم السبق في الثقافة الشيعية بأن القرآن لا يعتريه التحريف والتغيير . وبما أنّه يعسر إحصاء أسماء هؤلاء الأجلّاء جميعاً ، نذكر جملة منهم :

(7) الكافي ، ج 1 ، ص 69 ، ح 4 .

1- قال أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي ، المعروف بالشيخ الصدوق (المتوفّي سنة 381 هـ) : «اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد (صلى الله عليه وآله) هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس»⁽⁸⁾

2- وقال السيد المرتضى عليّ بن الحسين الموسوي العلوي ، المعروف بعلم الهدى (المتوفّي سنة 436 هـ): «وإنّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وغيرهما ، ختموا القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله) عدّة ختمات ، وكلّ ذلك يدل بأدنى تأمل على أنّه كان مجموعاً مرتّباً غير مبتور ولا مبثوث»⁽⁹⁾ .

3- وقال أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، المعروف بالشيخ الطوسي (المتوفّي سنة 460 هـ) : «وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق

(8) الاعتقادات : ص 93 .

(9) تفسير مجمع البيان ، ج 1 ، ص 43 .

به أيضاً ، لأن الزيادة فيه مجمعٌ على بطلانها ، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا ، وهو الذي نصره المرتضى(رحمه الله) ، وهو الظاهر من الروايات . غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامّة بنقصان كثير من آي القرآن ، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع ، طريقها الأحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً ، والأولى الإعراض عنها ، وترك التشاغل بها ، لأنه يمكن تأويلها»⁽¹⁰⁾ .

4- وقال أبو علي الطبرسي صاحب التفسير المعروف «مجمع البيان»: «ومن ذلك: الكلام في زيادة القرآن ونقصانه ، فإنه لا يليق بالتفسير؛ فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه. وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أنّ في

(10) التبيان للشيخ الطوسي ، ج 1 ، ص 3 .

القرآن تغييراً أو نقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا
خلافه»⁽¹¹⁾ .

5- وقال عليّ بن طاووس الحلّي المعروف بالسيد
ابن طاووس (المتوفّى سنة 664 هـ): «في نظر
الشيعة أنّ القرآن لا يتطرق إليه التحريف»⁽¹²⁾ .

6- وقال زين الدين العاملي (المتوفّى سنة 877
هـ) في تفسير الآية: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ)⁽¹³⁾: «يعني أنّنا نصون القرآن ونحافظ عليه
من كلّ تغيير وتحريف»⁽¹⁴⁾ .

7- وقال القاضي السيد نور الدين التستري صاحب
كتاب «إحقاق الحق» (المتوفّى سنة 1019 هـ):
«ما نسبه البعض إلى الشيعة الإمامية من القول

(11) تفسير مجمع البيان ، ج 1 ، ص 42 .

(12) سعد السعود : ص 144 .

(13) الحجر : 9 .

(14) اظهار الحق : ج 2 ، ص 130 .

بتحريف القرآن ، ليس هو قول الشيعة أجمع، وإنما قال به قليل منهم ، ولا يعتنى بهم»⁽¹⁵⁾ .

8- وقال محمد بن حسين المعروف ببهاء الدين العاملي (المتوفى سنة 1030 هـ) : «الصحيح أنّ القرآن العظيم مصون عن كلّ زيادة ونقصان ، وما يقال من أنّه "حذف اسم أمير المؤمنين(عليه السلام) من القرآن" فهو غير مرضي عند العلماء ، وكلّ من يسبر التاريخ والروايات يعلم أنّ القرآن - لتواتره ونقل آلاف الصحابة له - ثابت ، وأنّه جمع على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)»⁽¹⁶⁾ .

9- وقال الفيض الكاشاني صاحب كتاب الوافي (المتوفى سنة 1091 هـ) : «فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير، وأيضا قد استفاض عن النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة(عليهم السلام) حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله ليعلم صحته

(15) الاء الرحمن ، ص 25 .

(16) الاء الرحمن ، ص 25 .

بموافقته له وفساده بمخالفته فإذا كان القرآن الذي
بأيدينا محرفا فما فائدة العرض مع أن خبر التحريف
مخالف لكتاب الله مكذب له فيجب رده والحكم
بفساده أو تأويله»⁽¹⁷⁾ .

10- وقال الشيخ الحرّ العاملي (المتوفى سنة
1104 هـ): «كلّ من يسبر التاريخ والروايات يعلم أنّ
القرآن - لتواتره ونقل آلاف الصحابة له - ثابت ، وأنّه
جمع ورّتب على عهد رسول الله (صلى الله عليه
وآله)»⁽¹⁸⁾ .

11- وقال المحقق الجليل الشيخ جعفر كاشف
الغطاء في كتابه المعروف (كشف الغطاء): «لا ريب
في أنّه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديّان ، كما
دلّ عليه صريح القرآن وإجماع العلماء في جميع
الأزمان ، ولا عبرة بالنادر»⁽¹⁹⁾ .

(17) التفسير الصافي، ج 1 ، ص 51 .

(18) آلاء الرحمن ، ص 25 .

(19) كشف الغطاء ، ج 2 ، ص 299 .

12. وقال قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني

(قدس سره) :

«إنّ الواقف على عناية المسلمين على جمع الكتاب وحفظه وضبطه قراءة وكتابة ، يقف علي بطلان تلك المزعمة، وأنّه لا ينبغي أن يركن إليه ذو مسكة . وما وردت فيه من الأخبار، بين ضعيف لا يُستدلّ به، إلى مجعول يلوح منها أمارات الجعل، إلى غريب يقضى منه العجب، إلى صحيح يدلّ على أن مضمونه تأويل الكتاب وتفسيره، إلى غير ذلك من الأقسام التي يحتاج بيان المراد منها إلى تأليف كتاب حافل، ولولا خوف الخروج عن طور الكتاب لأرخينا عنان البيان إلى بيان تأريخ القرآن، وما جرى عليه طيلة تلك القرون، وأوضحنا لك أن الكتاب هو عين ما بين الدفتين.

والاختلاف الناشئ بين القراء ليس إلّا أمراً حديثاً، لا
ربط له بما نزل به الروح الأمين على قلب سيد
المرسلين»⁽²⁰⁾ .

(20) تهذيب الأصول (تقرير بحث السيد الخميني)، ج 2، ص 96 .

السنة الشريفة

السنة - وهي أقوال وأفعال وإمضاءات النبي (صلى الله عليه وآله) - تكون العين الثانية التي ينهل منها الفقه الشيعي أحكامه الشرعية . والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) يروون لنا سنة جدّهم وخزانة علومه (صلى الله عليه وآله) . نعم إن وصلت إلينا سنة النبي (صلى الله عليه وآله) بطريق معتبر غير طريق أهل البيت (عليهم السلام) فإنّه يجب الأخذ به - عند الشيعة - أيضاً .

ومن اللائق أن نبحت الموضوع من جانبين :

أدلة التمسك بسنة النبي (ص)

أوصى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أتباعهم وأشياعهم باتباع سنة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى جانب وصاياهم لهم بالقرآن ، وقد مدحوا القرآن

والسنة إذا كانا متقارنين ، فمن ذلك قول الإمام
الصادق(عليه السلام) :

«إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله
أو من قول رسول الله(صلى الله عليه وآله) وإلا فالذي
جاءكم به أولى به»⁽²¹⁾ .

كما عدّ الإمام الباقر(عليه السلام) التمسك بالسنة
شروطاً رئيسياً لفقاهة الفقيه الجامع للشرائط ، وذلك
في قوله(عليه السلام):

«إنّ الفقيه حقّ الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في
الآخرة ، المتمسك بسنة النبي(صلى الله عليه وآله)
وآله»⁽²²⁾ .

بل إنّ أئمتنا (عليهم السلام) عدّوا مخالفة الكتاب
والسنة كفرّاً بالله العظيم ، فهذا الإمام الصادق جعفر
بن محمّد(عليه السلام) يقول :

«من خالف كتاب الله وسنة محمّد(صلى الله عليه وآله)
فقد كفر»⁽²³⁾ .

(21) الكافي ، ج 1 ، ص 69 ، ح 2 .

(22) الكافي ، ج 1 ، ص 70 ، ح 8 .

فأتّضح بهذا البيان المختصر أنّ الشيعة تحترم السنّة النبويّة الشريفة أكثر من غيرها من الفرق الإسلاميّة ، وبه يتّضح وهن وبطلان دعوى من يقول : إنّ الشيعة أجنيّبون بالمرّة عن سنّة النبيّ(صلى الله عليه وآله) .

أدلة التمسك بأحاديث أهل البيت (ع)

لأجل بيان عقيدة الشيعة بالنسبة لأحاديث أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) لابدّ من البحث ضمن محورين ، هما :

أ- حقيقة أحاديث أئمتنا المعصومين (عليهم السلام) .

ب - أدلة لزوم التمسك بأهل البيت (عليهم السلام) .

(23) الكافي ، ج 1 ، ص 70 ، ح 6 .

حقيقة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)

لا ترى المدرسة الشيعية حقاً في التشريع والتقنين لأحد قط سوى الباري عزوجلّ ، سواء كان التشريع والتقنين في نطاق الفرد أو المجتمع ، وهذه القوانين والأحكام الشرعية تبين للناس بواسطة النبي (صلى الله عليه وآله) باعتباره الوسيلة الوحيدة للارتباط بالله من خلال الوحي .

وبهذا يتضح أنّ اعتماد الشيعة على أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) باعتبارها موضحة ومفسرة لسنة النبي (صلى الله عليه وآله) ، لا باعتبارها دليلاً في مقابل السنة النبوية .

وعليه فكلام أهل البيت (عليهم السلام) في الحقيقة هو ما ورد في السنة النبوية . ولأجل إثبات ذلك نذكر بعض الروايات الواردة في هذا المجال :

1- قال الإمام الصادق (عليه السلام) في جواب رجل

سأله عن مسألة :

«مهما أحببتك فيه بشيء فهو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لسنا نقول برأينا من شيء»⁽²⁴⁾ .

2- وقال الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً :

«حدّثني حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدّي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وحديث رسول الله عزّوجلّ»⁽²⁵⁾ .

3- وقال الإمام الباقر لجابر حين قال له : إذا حدّثتني بحديث فأسنده لي ، فقال (عليه السلام) :

«حدّثني أبي ، عن جدّي ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل ، عن الله تبارك وتعالى ، وكلّما أُحدّثك بهذا الإسناد»⁽²⁶⁾ .

فعلى ضوء هذه الأحاديث تتضح حقيقة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) وأنها عين ما ورد في سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

(24) بصائر الدرجات ، ص 320 .

(25) الكافي ، ج 1 ، ص 53 ، ح 14 .

(26) وسائل الشيعة ، ج 81 ، ص 69 ، ح 67 .

أدلة لزوم التمسك بأهل البيت (ع)

اتفق المسلمون من كلا الفريقين على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) خلف بعده ثقلين عظيمين ، ودعا المسلمين إلى أتباعهما ، وقال إنّ الهداية مقرونة بالتمسك بهما ، وهذان الثقلان هما : كتاب الله وعترته أهل بيته .

ونذكر فيما يلي بعض هذه الروايات من باب المثال :

1- روى الترمذي في صحيحه عن جابر بن عبد الله : «رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول : يا أيها الناس إني تركت فيكم من [ما] إن أخذتم به لن تضلّوا ; كتاب الله وعترتي أهل بيتي»⁽²⁷⁾ .

2- وروى الترمذي في صحيحه أيضاً عن زيد بن أرقم قال :

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من

(27) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 328 ، ح 3874 .

الآخر ; كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ،
وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ
الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»⁽²⁸⁾ .

3- وروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم :

«قام رسول الله(صلى الله عليه وآله) يوماً فينا خطيباً
بماء يدعى خمأً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى
عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال : أما بعد ، ألا أيها الناس
فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا
تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ،
فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحث على كتاب الله
ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل
بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل
بيتتي»⁽²⁹⁾ .

4- روى جملة من المحدثين عن رسول الله(صلى الله
عليه وآله) أنه قال :

(28) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 329 ، 3876 .

(29) صحيح مسلم ، ج 7 ، ص 122 .

«إني تارك فيكم الثقلين ; كتاب الله وأهل بيتي ، وإتھما
لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»⁽³⁰⁾ .

وينبغي الإشارة إلى أنّ الأحاديث الواردة بهذا
المضمون أكثر من أن يسعها هذا السفر الصغير ، وقد
ذكر المحقق الجليل السيد مير حامد حسين في
كتابه «عبقات الأنوار» أسانيد هذا الحديث .

فيعلم من خلال هذا الحديث الشريف أنّ التمسك
بأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وأتباعهم إلى
جانب كتاب الله وسنة نبيه هو من ضروريات
الإسلام ، وأنّ ترك كلام أهل البيت يوجب الضلال
والغواية .

وهنا يطرح السؤال التالي نفسه: من هم العترة
التي أمر النبي (صلى الله عليه وآله) الأمة باتباعهم ؟

(30) المستدرک علی الصحیحین ، ج 3 ، ص 148 . الصواعق المحرقة ، ص 149 ،
الباب 11 ، الفصل الأول .

وروي هذا المضمون في كتب أخرى منها : مسند ابن حنبل ، ج 5 ، ص 182 و
189 . كنز العمال ، ج 1 ، ص 44 ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

لأجل الجواب على هذا السؤال نذكر الروايات التي بيّنت معنى عترة النبيّ (صلى الله عليه وآله) .

من هم أهل بيت النبيّ (ص) ؟

أتّضح من الروايات المذكورة أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) حتّ المسلمين ودعاهم لاتباع عترته ، وجعل الهداية رهينة بالتمسك بها وبالقرآن معاً ، وجعلهما المرجع للأمة بعده ، وصرّح بعدم انفصال أحدهما عن الآخر بقوله :

«وإنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض»

فبما أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) جعل العترة قرينة للقرآن أبداً ونفى انفصالهما للأبد بقوله : «وإنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض» ، فلا بدّ أن يكونوا معصومين من الخطأ ومنزهين عن الزلل ، وأن يكونوا ممن تغدّى من زلال عين المعارف الإلهيّة الحقّة . ولولا ذلك كله فإنهم سينفصلون عن القرآن

الكريم ، والحال أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) صرّح بعدم انفصالهما أبداً .

وبهذا يعرف المقصود من العترة وأهل البيت في الحديث الشريف ؛ فإن هذه الصفات لا تنطبق على أحد سوى ذريته الذين هم عترته وأهل بيته ، وهم أئمة الشيعة عليهم وعلى جدهم آلاف التحية والسلام .

وإليك فيما يلي وعلى ضوء الروايات أدلّة ما ذكرناه :

1- روى مسلم في صحيحه حديث الثقلين عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم ، وذكر فيه أنّ يزيد بن حيان سأل زيد بن أرقم فقال :

«من أهل بيته ؟ نساؤه ؟! قال : لا وأيم الله ، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها ، فترجع إلى أبيها وقومها . أهل بيته أصله وعصيته الذين حرموا الصدقة بعده»⁽³¹⁾ .

(31) صحيح مسلم ، ج 7 ، ص 123 .

فصريح هذه الرواية أنّ عترة النبيّ(صلى الله عليه وآله) الذين يجب التمسك بهم ليسوا نساءه ، وإنّما هم منتسبون إليه مادّياً ومعنوياً ، ولهم خصوصيات تميّزهم عن غيرهم بحيث تجعلهم - إلى جانب القرآن - مؤهلين لهداية وقيادة الأمة الإسلاميّة بعد النبيّ(صلى الله عليه وآله) .

2- لم يكتفِ النبيّ(صلى الله عليه وآله) ببيان أوصاف أهل بيته ، وإنّما ذكر عددهم وهو «إثنا عشر» ، فروى مسلم في صحيحه عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة يقول :

«سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول : لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة . ثمّ قال كلمة لم أفهمها ، فقلت : لأبي ما قال ؟ فقال : كلّهم من قريش»⁽³²⁾ .

كما روى مسلم في صحيحه أيضاً ما يلي :

(32) صحيح مسلم ، ج 6 ، ص 3 .

«لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً»⁽³³⁾ .

فهاتان الروايتان دليل واضح على ما يقول به ويعتقده الشيعة من أنّ الأئمة الإثنا عشر من ذرية النبي (صلى الله عليه وآله) هم الخلفاء وقادة الأمة بعده (صلى الله عليه وآله) ; فإنّه لا يوجد مصداق للخلفاء الإثني عشر - الذين هم سبب لعزّة المسلمين من جانب ، ولهم أهليّة قيادة الأمة من الناحية العلميّة من جانب آخر ، وأن يكونوا بعد رحلة النبي (صلى الله عليه وآله) مباشرة من جانب ثالث - سوى الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت ، فإنّنا إذا غضضنا الطرف عن الخلفاء الراشدين ولاحظنا الخلفاء الذين تولّوا أمور المسلمين من بعدهم - سواء من بني أمية أو من بني العباس - فإنّنا نجدهم ارتكبوا قبيح الأفعال ، فصاروا عاراً على الإسلام والمسلمين ، ولم يكونوا سبباً لعزّتهما . وبهذا يتّضح أنّ المقصود من «أهل البيت» و «العترة» في

(33) صحيح مسلم ، ج 6 ، ص 3 .

الحديث المذكور - والذين هم قرين القرآن والذين هم خلفاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) على أمّته - هو الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت (عليهم السلام) الحافظين لسنة الرسول والحاملين لعلمه (صلى الله عليه وآله) .

3- ذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أيضاً أنّ الأئمة وخلفاء المسلمين هم من بني هاشم ، وهذا دليل آخر على صحة ما يقول به الشيعة ، وذلك قوله :

«إن الأئمة من قريش ، غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم»⁽³⁴⁾ .

النتيجة

الروايات المذكورة تسفر عن أمرين :

(34) نهج البلاغة ، الخطبة 144 .

1- أنّ التمسك بأهل البيت (عليهم السلام) واتباعهم إلى جانب التمسك بالقرآن واجب .

2- أنّ أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) باعتبارهم قرين القرآن ومرجع الأمة الإسلامية بعد النبي كما قال هو (صلى الله عليه وآله) ، يتمتعون بصفات وخصائص هي :

أ- هم جميعاً من قريش ومن بني هاشم .

ب - تربطهم جميعاً قرابة برسول الله (صلى الله عليه وآله) تجعل الصدقة عليهم حراماً .

ج - يتمتعون جميعاً بالعصمة ، وإلاّ فإنهم سينفصلون ويفترقون عن القرآن عملاً ، مع أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال : «إنّهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض» .

د - عددهم اثنا عشر ، يأتون بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ، ويلون أمر المسلمين واحداً بعد واحد .

هـ - إنّهم سبب لعزة الإسلام والمسلمين ولقوة شوكتهم .

فمع أخذ هذه الأوصاف بنظر الاعتبار يتّضح أنّ المراد من قوله (صلى الله عليه وآله) : «عترتي أهل بيتي» في الحديث المذكور - والذي أوصى المسلمين فيه باتّباعهم - هو الأئمة الإثنا عشر المعصومون ، الذين يفتخر الشيعة باتّباعهم ، وأخذ الأحكام الفقهيّة عنهم .
